وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة –الجزائر–

العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري

مخبر التربية والابستيمولوجيا بالشراكة مع قسم الفلسفة ينظم:

ملتقى وطني حول "المجتمع والتربية"

يوم الأحد 15 ديسمبر 2024

برنامج الملتقى الوطني

الجلسة الافتتاحية: من 9.00 –10.00

آيات من القرآن الكريم

النشيد الوطني

كلمة مديرة المدرسة العليا للأساتذة: د/ رتيبة قيدوم

كلمة مدير مخبر التربية والابستمولوجيا: أ.د عليش لعموري

كلمة رئيس الملتقى: د/ مشتة ياسين

برنامج الملتقى الحضوري

الجلسة الأولى: من 10.00 إلى 12.00 المكان: المدرج الجديد

رئيس الجلسة: أ. د/ عليش لعموري		المقرر: د/ قدور كرومي
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ.د. نادية لعروسي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	التربية الإسلامية المتكاملة عند جمعية العلماء المسلمين
أ.د. بورنان خيرة	جامعة محمد بوضياف– المسيلة	التربية الجمالية عند فريديريك شيلر كبراذيغم جديد للتربية على المواطنة
د. تونسية حموش ط. د. خيرة يوسفي	جامعة الجزائر –2 جامعة الجزائر –2	من التربية الشاملة إلى التوازن المجتمعي في فلسفة أبي حامد الغزالي
د. حاج عزام ناصر د. كريفيف مريم	جامعة الجزائر 02 عمار ثليجي الاغواط	مقاربات تعلمية الفلسفة المقاربة النصية أنموذجا
د.رزقي مداح	جامعة مولود معمري تيزي وزو	التربية البيئية وآفاق التنمية المستدامة
د. زقرون محند أوعراب	جامعة مولود معمري تيزي وزو	التعليم الديني في سن المراهقة عند جون جاك روسو
د. شهرزاد أيت عمار	جامعة مولود معمري تيزي وزو	Le rôle des institutions civiles dans la formation des formateurs et des apprenants.

الجلسة الثانية: من 10.00 إلى 12.00 المكان: المدرج الجديد

رئيس الجلسة: د. ياسين مشتة		المقرر: حاج سعيد بكير
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ. د لعموري عليش	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	فلسفة التربية الاجتماعية بين الواقع والمأمول
أ. د سليمان ملوكي	جامعة محمد بوضياف– المسيلة	حدود المسؤولية المجتمعية في تربية الفرد الجزائري
د. محند واعمر شوليط	جامعة الجزائر –2	المجتمع المدني وسؤال التربية والتعليم
د. أسامة حيقون د. زيان لقليطي	جامعة بسكرة جامعة الجزائر –2	المنهج التربوي وعلاقته بالمجتمع
د. بوسرو السبتي	جامعة مولود معمري تيزي وزو	الأبعاد النفسية للنظام التربوي بالجزائر
د. علي بوسكرة ط. د. شبيكة الجمعي	جامعة سطيف 02 جامعة باجي مختار عنابة>	دور الخيال في العملية التعليمية الحكاية على لسان الحيوان أنموذجا

الجلسة الثالثة: من 14.00 إلى 16.00 المكان: المدرج الجديد

رئيس الجلسة: د. منانة بطاش		المقرر: أ. د. نادية لعروسي
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ/د. فاطمة الزهراء شطيبي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	الواجبات التربوية للمجتمع تجاه جيل الانترنت
د. منانة بطاش	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	فلسفة التربية بين طابعها التأملي والتطور التكنولوجي
د. قدور كرومي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	دور التربية في البناء الاجتماعي
د. ياسين مشتة ط. د. مروة صباغ	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة جامعة شلف	الضرورة الوظيفية لمؤسسات المجتمع المدني
د. عبد الله حنادر د. كمال رزوق	جامعة احمد زبانة غليزان جامعة الجزائر 03	الاعلام التربوي ودوره في ترسيخ القيم المجتمعية في ظل طغيان المحتويات الهابطة عبر الفضاءات الرقمية
د. فرحاني كمال ط. د. عبد المحسن الزهراني	جامعة الجزائر 02 جامعة الجزائر 02	دور التعلم التعاوني في تحسين تركيز الانتباه لدى طلاب الثانوي في المدرسة السعودية بالجزائر
ط. د. لخضر عشوش	جامعة زيان عاشور– الجلفة	واقع التربية والتعليم في المجتمع التحديات والرهانات

الجلسة الرابعة: من 14.00 إلى 16.00 المكان:

رئيس الجلسة: د. قدور كرومي		المقرر: د. جبار دليلة
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ. د. العربي بن عاشور	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	الأبعاد الأخلاقية والتربوية في الأجناس الأدبية الشعبية
د. بكير حاج سعيد	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	التربية والإيديولوجية اية علاقة؟
د. دليلة جبار	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	دور المجتمع في تأسيس التربية الأخلاقية عند دوركايم
د. سمية هامل	المجمع الجزائري للغة العربية	توظيف المبادئ الدّينية في المحتوى التّعليميّ بهدف إرساء التربية الاجتماعية وبناء القيم الأخلاقيّة
ط. د أسماء موسوني	دار القرآن–الجامع الأعظم الجزائر	الاسهام الديني والفني في تعزيز التربية الاجتماعية
ط. د بن براهيم محمد	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	دور مؤسسات المجتمع المدني في تنمية المجتمع المحلي
ط. د أسماء شنافي	جامعة الجزائر –2	رهان تنشئة البعد الفلسفي عند الطفل

قراءة التوصيات، الاختتام، وتوزيع الشهادات

برنامج الملتقى الافتراضي

الجلسة الأولى: من 14.00 إلى 16.00

رئيس الجلسة: أ. د العربي بن عاشور		المقرر: د. علي يطو
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ/د. بوسكرة عمر د. ديلمي راوية	جامعة محمد بوضياف– المسيلة	رؤية مستقبلية للمناهج الدراسية في خدمة التكامل بين المجتمع والتربية.
أ. د. علي شريف حورية د. بن قفة سعاد	جامعة محمد بوضياف مسيلة	سوسيولوجيا المنهج وفق المقاربة السوسيوتربوية لدوركايم
د. حسين لرقط د. مومن رضوان	محمد بوضياف مسيلة جامعة برج بوعريريج	المجتمع المدني بين تكريس قيم المواطنة وقوى العولمة والثقافة الحضرية. أي أدوار؟
د. مشتة مريم ط. د سليماني موسى	جامعة سطيف 02	سوسيولوجيا التربية في المجتمع– قراءة في الفكر التربوي عند إميل دور كايم–
د. فاطمة حافي	جامعة العربي التبسي– تبسة	دور المستوى التعليمي للام في تعزيز التواصل داخل الأسرة دراسة ميدانية للأسرة التعليمية جامعة العربي التبسي
د. جفال مريم د. بودية ليلى	جامعة وهران	دور مؤسسات المجتمع المدني في خدمة المجتمع
د.كريمة يحياوي ط. د سارة يحياوي	جامعة قاصدي مرباح ورقلة المدرسة العليا للأساتذة– الأغواط	التكامل بين التعليم والتضامن الاجتماعي لبناء المستقبل The Integration of Education and Social Solidarity in Building the Society of the Future
ط. د روندالة البشير	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم	مناهج التعليم و التدريس في عصر التكنولوجيا وتحديات الفرص
ط. د بلعوج شيماء	جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر	المعيقات التعليمية للمدرسة الجزائرية

الجلسة الثانية: من 14.00 إلى 16.00

رئيس الجلسة: د حسن الصيد		المقرر: لونة سامية
اسم ولقب المتدخل(ة)	مؤسسة الانتماء	عنوان المداخلة
أ. د عائشة بوزياني	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	التربية على التسامح والتعايش تحديات مجتمع متعدد الثقافات
د. ميلود رحالي ط. د. إسماعيل قرين	جامعة علي لونيسي بليدة	إسهامات جون ديوي ومالك بن نبي في الفكر التربوي – مقاربة بين المنجز الغربي والإسلامي– (عن بعد)
د. بن سكيم بسمة	جامعة زيان عاشور الجلفة	مؤسسات المجتمع المدني أدوار ومسؤوليات
د. أوميدي ليندة	جامعة الجزائر 02	السلطة التعليمية داخل المؤسسة ودورها في تطبيق التربية الصحيحة لدى تلاميذ الطور الثانوي
د. ميمون محمد ط. د شيخاوي سفيان	جامعة أدرار جامعة أدرار	التعلم الالكتروني وخصائصه في بعض المؤسسات
د. علي بولبدة	جامعة تبسة	دور منظمات المجتمع المدني في الحد من السلوك الاجرامي جمعية الإصلاح والإرشاد الجزائري
د. بورنان مصطفى ط.د. بوصبع وليد	جامعة سطيف 02 جامعة حسيبة بن بوعلي شلف	الاسقاطات التربوية الراهنة على مبادى التعليم الدينية
د. نيساس فوزية	جامعة الجزائر 02	تفاعل ثنائية المجتمع والمناهج الجديدة في بناء كيان طفل المستقبل
د. عمار طرابلسي د. حميش يوسف	سطيف 02 جامعة محمد بوضياف مسيلة	الإعلام كأداة لتعزيز الحوار بين الثقافات في البيئة التربوية
د. أحلام بالمادي د. حمادي دليلة	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	دور المدارس القرانية في تربية الطفل
د. لصقع ربيع	جامعة محمد بوضياف مسيلة	دور الأستاذ في ظل التعليم الالكتروني والتعليم عن بعد

دعـوة

يتشرف السيد مدير مخبر التربية والابستيمولجيا
بدعوتكم لحضور فعاليات الملتقى الوطني
"المجتمع والتربية" المزمع تنظيمه يوم 15 ديسمبر
2024 على الساعة العاشرة صباحا قاعة
المحاضرات الكبرى بالمدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة

حضوركم يشرفنا

الأستاذة: بورنان خيرة

جامعة محمد بوضياف/ المسيلة

قسم الفلسفة

المحور الثالث: اسهامات الدين والفن

عنوان المداخلة:

التربية الجمالية عند فريديريك شيللر كبراديغم جديد للتربية على المواطنة

مقدمة:

تعتبر التربية الركن الركين لقيام الدُّول، وتطور الحضارات والمجتمعات. وهي انشغال علمي وفلسفي وديني، وأخلاقي، بل وجمالي أيضا. وتبعا لهذا تختلف الرؤى المتعلقة بالتربية وتصور أهدافها ومنطلقاتها من مجال معرفي إلى آخر، ومن فيلسوف إلى آخر. والفلسفة بوصفها فعل عقلاني ونقدي متوجه بالسؤال إلى الإنسان قد جعلت الانشغال التربوي على رأس اهتماماتها.

وهكذا تراكمت ومنذ البدايات الأولى للتفكير الفلسفي، أطروحات وتصورات حول التربية، لقد انطوى ـ على سبيل المثال ـ كتاب الجمهورية لأفلاطون على رسالة تربوية محددة المعالم، بل في نظر روسو هو أحسن كتاب عالج التربية، وأنه ليس البتة كتاب في السياسة. وهذا الحكم صحيح إلا أنه مبالغ فيه؛ إذ لم تنفصل ـ وبشكل مطلق ـ في أي تصور فلسفي التربية عن السياسة. ولقد تجلت هذه العلاقة على نحو لا يدع مجالا للشك مع فلاسفة عصر الأنوار، فالخطاب الفلسفي في هذا العصر، كان في جوهره، إما خطابا تربويا ذو أبعاد سياسية أو خطابا سياسيا ذو أبعاد تربوية.

والمستقرئ للإرث الفلسفي التربوي سيجد لامحالة أن لحظات مفصلية تشكله. ومن ذلك ما قدمه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو من خلال كتابه "إميل أو في التربية"، وما قدمه كذلك فيلسوف النقد إيمانويل كانط، ومواطنه المعاصر له فريديريك شيللر[*]. ويعتبر كتاب "تأملات في التربية"، الذي يصنف في المرحلة ما قبل النقدية من تطور المسار الفكري الكانطي، باكورة أعماله. لكن هل هذا التصنيف لا يعني خلو الكتاب ـ المتن الأساسي للتربية عند كانط ـ من منطلقات وأبعاد نقدية، هي التعبير الواضح عن روح العصر وهي روح نقدية، ترفض التقليد وتنزع نحو التجديد. وبالمثل يعد كتاب "رسائل في التربية الجمالية للإنسان" للفيلسوف والأديب الألماني فريدريك شيللر تعبير عن روح العصر الذي مزقته المنفعة والضرورة والصراعات السياسية، التي لا يمكن حلها ولا تجاوزها إلا بتلقي الإنسان لتربية جمالية. فالجمال هو السبيل الوحيد للحرية وانعتاق الإنسان من المنفعة وعودته إلى ذاته من جديد.

ومن خلال هذا المداخلة سنسلط الضوء على وجهة نظر شيللر في التربية الجمالية كبراديغم جديد للتربية على المواطنة، وبناء الدولة الوطنية الموحدة على أسس جمالية.

1-ثنائية الروح والمادة

استأثر العلم الطبيعي في العصر الحديث بخطاب الحقيقة مدعيا أن مجالات معرفية أخرى ومن ضمنها الفن أو الجمال لا يصلح في أحسن الأحوال إلا للترف والامتاع والمؤانسة، فالقول الفصل يكمن في ما يقدمه العالم من حقائق مصاغة في شكل قوانين تفرضها نفسها على جميع العقول، ولا تكمن البتة في ما ينظمه شاعر، ولا في ما ترسمه ريشة فنان....إلخ. إن هذا التوجه وإن وجد ما يدعمه في تاريخ الفكر الإنساني، إلا أنه لم يستطع أن يسكت صوتا حاول احراج الإنسان من خلال الكشف عن وجه الحداثة السالب ومن خلال نقد العلم والتقنية والتعبير عن تذمر الإنسان (الفنان) من الإنسان (العالم)، الذي

---

[*] فريديريك شيللر Friedrich schiller (1759 – 1805)

أحال الإنسان إلى مجرد شبكة من العلاقات الحسابية، مختزلا إيّاه في بعد واحدا هو البعد المادي، واستأثر بالحقيقة وكأنها ملكيته الخاصة.

وإزاء هذا الوضع التراجيدي الذي آل إليه الفن والجمال ومن خلاله الإنسان ما فتئت أصوات تتعالى بضرورة العودة إلى الفن والجمال كحامل للحقيقة، ومنقذ للإنسان من التردي الأخلاقي ومنقذا للدولة من التمزق والتشرذم. ومن الأصوات التي أدركت هذه الحقيقة فريدريك شيللر الذي رأى في الجمال خلاص الفرد وشرطا أساسيا لبناء دولة المواطنة.

لكن، قبل التطرق لموقف شيللر من التربية الجمالية والذي يجب أن يرتكز في نظره على التوازن بين ما هو حسي وعقلي، لابد من تنويه يخص جذر ثنائية المادة والروح، الذي يجد أساسه الراسخ في ثنائية العقل كمقابل للحس. وهي ثنائية قديمة في تاريخ الفكر الفلسفي؛ فقد أخذت تحتل مكانها كمشكلة محورية في الفكر الفلسفي اليوناني وخاصة عند أفلاطون، فهذا الأخير اعتبر أنَّ معرفة الكلِّيات والمثاليات أرقي بكثير من معرفة ظواهر الطَّبيعة. واتخذت هذه التَّفرقة فيما بعد صورًا مختلفة؛ فالفلسفة المسيحية كانت واضحة أيَّما وضوح في الفصل بين الجسد والرُّوح والمقدَّس والمدنَّس. واتسمت الفلسفة الحديثة والدِّيكارتية على وجه التَّحديد، بثنائية الجسم والنَّفس وهذه أي النَّفس هي مبدأ الفكر والوجود. والجمع بين الفكر والوجود أو بين الماهية والوجود لا يكون إلا لكائن مطلق هو الله. وهذا يعني أن ديكارت قد قطع الطريق لإمكانية التأليف بين تلك الثنائيات أو النقائض على مستوى الموجود الناقص أي الإنسان.

ووضع كانط ثنائية تصل إلى حدودها القصوى في نظرتها للإنسان فهو من ناحية جسما فيزيقيا وهو من ناحية أخرى كائن روحي. وإذا كان كانط حض على رد الجوانب الظاهرية في الإنسان إلى الأسس المادية، غير أنَّه فصل بين هذه الجوانب وبين جوانب حياته الروحية إذ أعلن صراحة « أن مفهوم الروح لا يمكن أن يُعالَج كما لوكان مشتقًّا عن

طريق التجريد من التجربة»[1]. وقد حدد كانط استناداً إلى تلك الثنائية المعالم المنهجية التي ينبغي استخدامها في دراسة الإنسان، إذ يرفض تناول سلوك الإنسان بواسطة منهج العلوم التي تدرس عالم الظواهر، بل ويرفض كذلك استخدام طرقها التحليلية التعميمية في دراسة سلوك الإنسان، فالإنسان في جانبه الروحي لا يخضع للقانون بالمعنى الفيزيقي بل هو حر طليق، بحيث لا يتحقق الإدراك والفهم العقلي لحياته وسلوكه إلا بواسطة المناهج التأملية الفلسفية، وخاصة عن طريق عملية الإدراك الحدسي للكليات الشاملة التي لا يجوز تفتيتها بواسطة التحليل الذري.

2-التربية الجمالية وتوحيد الغرائز

إذا كان كانط قد فصل بين الطبيعة والثقافة وبين الحواس والعقل، وبين الأهواء(الرغبة) والواجب، فإن شيللر منطلقا من كانط ومعارضا له في آن سيكون مُوجَها أكثر بهاجس الجمع أكثر من التجزئة، وبفكرة الكلية والوحدة؛ وحدة الإنسان أو ما يسميه الإنسان الكامل حينا والإنسان المثالي حينا آخر[2]. **هذا الإنسان لا يصير كاملا إلا بتربية جمالية تهذب الطبع والذوق.**

كما لم يكن شيللر معنيا بشكل مباشر بالصراع الدائر بين علوم المادة وعلوم الروح، أو على نحو أدق بمسألة التأصيل للعلوم الروحية كما سيضطلع بها ـ لاحقا ـ مواطنه فلهلم دلتاي *Dilthey Wilhelm* (1833-1911). ويرجع ذلك بحسب قراءة الفيلسوف المعاصر ومؤرخ الأفكار الفرنسي ميشيل فوكو الأركيولوجية(الحفرية) لوثيقة عصر الحداثة أن مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية لم تتضح معالمها بوصفها حدثا في نسق المعرفة إلا في القرن التاسع

---

[1]- جمال محمد أحمد سليماني: إيمانويل كانط أنطولوجيا الوجود، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 ص257.

[2]- فريدريش شيللر: مقالات فلسفية (في المسرح والشعر ومسائل تتعلق بالإستطيقا)، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بغداد ـ بيروت، ط1، 2017، ص8.

عشر، فالإنسان كمقاربة منهجية ليس أقدم إشكالية طرحت ذاتها على المعرفة الإنسانية، فهو اختراع حديث فيها، لا يتجاوز عمره مئتي سنة[1].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فشيللر وإن جعل الجمال مدخلا لفهم الإنسان وبلوغه أسمى معاني الحرية والإنسانية لم يكن معنيا بتأسيس مذهب فلسفي، ربما يعود ذلك إلى تكوينه الفكري؛ فهو الشاعر والفيلسوف، والمسرحي، ولقد كان هو نفسه واعيا بذلك، حيث كتب مرة لصديقه الشاعر جوته: « أراني كالمخلوق الهجين، أتأرجح بين الفكرة وبين التأمل، أو بين عقل محكوم بالقواعد، وبين خيال حر وهذا ما أورثني مظهرا على قدر من التشوش والارتباك في مجال الفكر النظري». لكن هذه الفوضى التي تعتلج داخل نفس الشاعر/ الفيلسوف ما تلبث أن تزول وترى في التناقض انسجاما ووحدة وليس صراعا عدميا، ومرد ذلك إلى الإنسان تتقاسمه وتتجاذبه غريزتان أساسيتان، أو ـ حسب مارك جيمينيز ـ نزوعان أحدهما حسي وآخر عقلي[2].

تنزع الغريزة الحسية(l'instinct sensible) إلى وضع الإنسان داخل حدود الزمان وتحويله إلى مادة. هذه الغريزة تظل تسحبه دوما إلى العالم الحسي وحدوده كلما همَّ بالانطلاق نحو اللامتناهي. وبهذا المعنى تعيق عملية اكتماله. بينما الغريزة العقلية (l'instinct formel) وبحكم طبيعة الإنسان العاقلة، تدفع بالشخصية للتعبير عن نفسها ككيان حر وثابت ومهما كانت التحولات التي تطرأ على أحواله. وتطمح هذه الغريزة إلى جعل كل واقع أبدي وضروري؛ في كلمة إنها تطلب الحقيقة والخير[3]. وإذا كان موضوع الغريزة الحسية هو الحياة في معنى أوسع؛ مفهوم يعني مجمل الوجود المادي وكل حضور

---

[1]– ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة: ترجمة مطاع الصفدي وآخرون، مركز الأنماء القومي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1990، ص313.

[2]– مارك جيمينيز: ما الجمالية؟ ترجمة، شربل داغر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2009، ص 182.

[3]– فريدريش شيللر: مقالات فلسفية ص72.

حسي مباشر، فموضوع الغريزة العقلية هو الصورة في المعنى الحقيقي كما في المعنى المجازي؛ مفهوم يضم كل المكونات الشكلية للأشياء وكل علاقات هذه الأخيرة بطاقاتها العقلية[1].

ويدرك شيللر وهو ابن عصره ومواطن في دولة أن الثنائية كسمة دالة على عصر الحداثة أفضت إلى قطيعة لا تخطئها عين مبصرة. يكتب عن هذا الانفصال، « فالدولة والكنيسة والقانون والأعراف كلها قد عمها التمزق والتفكك ففصل الاستمتاع عن العمل وفصلت الوسائل عن الغايات»[2]. إنها لأزمة حقيقية كشفت عن هوة سحيقة بين ما هو مادي وما هو روحي، بل طغيان المادة على الروح. لكن لم استحال الأمر إلى هكذا حال؟ حسب شيللر السبب يعود إلى شرور الحضارة، ومن بينها: التخصص، والاغتراب.

إن التخصص وهو ابن العصر الحديث جعل من العلم الصنم الجديد الذي يجب أن يعبد، طالما أنه السبيل الوحيدة لتحقيق الرفاه المادي أي سعادة الإنسان، وأن المضي قدما في سلم الحضارة هو رهين الاعتقاد في سلطان العلم وفاعلية العقل. وأدى هذا الوضع إلى:

- تفتت عرى الوحدة والتكامل بين الحقائق المعرفية وتشظيها، فتكامل العلوم لم يعد مطلبا أساسيا.

- عدم صدور الحقائق التي تتعلق بالإنسان عن ظاهريات الروح بقدر صدورها عن الظواهر الطبيعة. فالأنسان جزء من الطبيعة، والقوانين التي تتحكم في الكل تتحكم في الجزء، وفقا لحتمية مطلقة.

- انحسر الفن وفقد قيمته الروحية، وسيطر على المخيلة النزوع العلمي. ويصور شيللر هذا الوضع أبلغ تصوير في الرسالة الثانية ومما جاء فيها:« غير أن الضرورة هي السيدة اليوم، وهي تخضع لسطوتها، وتحت نيرها الطاغي عنق إنسانية ضرب الفساد في أوصالها.

---

[1]- فريدريش شيللر: مقالات فلسفية، ص105.

[2]- فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص169.

والمنفعة هي المعبود عصر الأعظم، يجب على سائر القوى أن تخدم في رحابه، وعلى كل المواهب أن تقسم لها يمين الولاء، وفي ظل هذه الموازين المختلة فقدت الخدمة الروحية للفن وزنها وقدرها، فهي تفر من سوق عصرنا المليء بالضوضاء، وقد حرمت من كل تشجيع... وقد أخذت روح البحث في صميمها تستولي من الخيال على مقاطعة تلوى الأخرى، فآلت جبهات الفن إلى انكماش على حين اتسعت حدود العلم»[1].

وبالمحصلة ونتيجة الشر الأوَّل فقد الإنسان إنسانيته لمَّا سمح بطغيان العلم الوضعي، وعندما رأى فيه الإنجيل الجديد الذي يتضن النبوءة الصادقة والجواب الجامع المانع عن سؤال: من هو الإنسان؟ أو في صيغة أخرى ما هو الإنسان؟.

ويرتبط الشر الثاني أي الاغتراب عضويا بالشر الأوَّل؛ لقد أصبح الإنسان نتيجة طغيان العلم الوضعي يعيش غربة مزدوجة: غربة عن ذاته لمَّا تمَّ تخفيض الحساسية والخيال وما هو روحي لديه باسم العلم، وغربة أخرى داخل مجتمعه أو دولته لمَّا تمَّ حصر الفضيلة الإنسانية كقيمة من قيم التَّقدم الأنواري في مستقبلها السياسي، أي تحقق المواطن الحر داخل الدولة التعاقدية. وأن تعيش غريبا داخل ذاتك أو غريبا في وطنك، فهي حالة سيكولوجية فظيعة جدا، إنها الخواء والفراغ، والفزع، هي بحق وجه قبيح من أوجه الشر. إن الإنسان قد أصبح هو نفسه مجرد جزء أو شظية أو كسرة، وبدلا من أن يسم طبيعته بطابع الإنسانية إذ به يصبح موسوما بطابع حرفته وعمله[2]. حقا لقد استحال الإنسان إلى شيء.

ودواء هذه الشرور وحل أزمة العصر الحديث عند شيللر، يلتمس في أمرين اثنين؛ الأمر الأوَّل منهما إبستيمولوجي وسيكولوجي على حد سواء. وهو النَّظر بعمق في الثنائيات المتقابلة(العقل والحس، الحرية والهوى، الواجب والميل، المطلق والمتناهي، القوة الدافعة الصورية والقوة الدافعة المادية...إلخ). وبدلا من اعتبار أحد طرفيها أفضل من الطرف

---

[1]- فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص153.

[2]- فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص 169.

الآخر، ففعل كهذا هو الدرجة الصفر من التفكير إنه لعدمية صريحة. إن حل الأزمة ـ إذن ـ يكمن في الاعتراف وقبول هذا التضاد الثنائي على أنه ميزة جوهرية في الإنسان كما في الطبيعة. ومن وجهة نظر إبستيمولوجية يجب أن يكف الإنسان على معارضة العلم بالفن والجمال وكأنهما برزخان لا يلتقيان. إن التفرقة بين المعقول واللاَّمعقول في العلم الإنساني مصطنعة، في حين أن العلوم موحدة ومتكاملة، أو هكذا يجب أن تكون.

أما الأمر الثاني فهو أخلاقي وجمالي وسياسي في آن. ويتمثل في العبور من المادية إلى الأخلاق مرورا ـ بتوسط ـ بالطور الجمالي، أو كما يقول شيللر:« ليس ثمة من سبيل آخر يجعل من إنسان الحس إنسان العقل إلا بجعله إنسان جمال أولا». وفي هذا اقرار بما للجمال والفن ومن أهمية في توحيد عالمي المحسوس والمعقول في عالم واحد. وهو الشرط الضروري ليستعيد الإنسان تناغمه وتوازنه المفقود. في محاضرة له بعنوان «المسرح منظورا إليه كمؤسسة أخلاقية»، بوأ شيللر الفن(المسرح، الشعر، الفنون التشكيلية) منزلة تربوية، يتولى بموجبها تربية الإنسان جماليا وأخلاقيا. والفن كمدرسة للتربية الأخلاقية لا بالمعنى التلقيني أو الوعظي للتربية، بل من خلال وضع الإنسان وجها لوجها مع الصراع الذي يخضع إليه داخل تلك المتناقضات[1]. وبدلا من فكرة التطهير الأرسطية سيجعل شيللر إعادة بناء الوحدة الكلية للإنسان التي مزقتها شرور الحضارة الحديثة هي المهمة الأولى للفن، ليس الهروب من هذه الحضارة والمطالبة بالعودة إلى الحالة الطبيعية على الطريقة الروسوية هو الحل، بل تربية المواطن الحر صاحب النفس الجميلة هو الحل لكل دولة تخشى خطر الثورة الهمجية. وهذا لن يتحقق إلا بالحرية.

تأخذ الحرية عند شيللر معنى التحرر، ولذلك فهي فعل، وليست حالة شعورية كما عند ديكارت، ولا مسلمة من مسلمات العقل العملي الكانطي. إنها فعل الجمال الحق في الإنسانية الذي يحفظ للإنسان اتزانه وفي غيابها يحل الإنسان المتوتر، وهو الشخص« الذي

[1]– فريدريش شيللر: مقالات فلسفية، ص09.

يعاني من قهر الإحساسات مثلما يعاني من قهر الأفكار»[1]. ويأتي قهر الاحساسات متى انفردت القوة الحسية في الإنسان بالهيمنة على وجوده، كما يأتي قهر الأفكار متى انفردت القوة العاقلة فيه بالهيمنة على وجوده. ومهمة الجمال الحق أن يعمل على خلاص الإنسان من نوعي القهر الحسي والفكري في معادلة التوازن. يجمع فيها الفن من خلال الجمال بين الصورة الهادئة التي تؤدي إلى التلطيف من حياة الوحشية والقسوة والتمهيد بذلك للانتقال من الاحساسات إلى الأفكار.

والحرية عند شيللر ليست حرية سياسية وإن كانت ستترتب عنها نتائج سياسية، بل هي نوع الحرية الذي يرتكز على ما للإنسان من طبيعة مركبة أو مؤتلفة. وحتى يؤدي الجمال وظيفته يجب أن ينظر إليه لا كموضوع للمتعة والتفضيل الجمالي فقط، بل وكأداة للتحرر وتحقيق الانسجام والتناغم في المستويات الثلاثة الآتية:

أ/ المستوى الذاتي

يتحقق الانسجام مع الذات ـ كما مر معنا ـ من خلال صقل عام ومتوازن لسائر القوى والملكات التي تتصارع فيما بينها. فلابد من تحقيق توازن بين الجانب الحسي والجانب العقلي وانهاء الصراع بين الغريزتين الأساسيتين، فلا يجب أن يكون الإنسان محكوما بالطبيعة فقط، ولا العقل وحده، بل يجب أن يكون الطبيعة والعقل منسجمين، بحيث يكمل أحدهما الآخر. وعند تحقق هذا الإندغام أو ما يسميه شيللر بـ(المعية مع الذات) تصبح هذه الأخيرة المصدر الأساسي الذي يستقى منه الاحساس بالجمال، وتصبح أيضا مصدرا للحكم الجمالي، أي تصبح مشرعة في المجال الإستيطيقي، وفقا للقاعدة الأخلاقية الكانطية: على المرء أن يشرع لنفسه وكأنه يشرع للناس جميعا. ويحصل هذا لمَّا يستوعب كل فرد في ذاته المعنى الكامل للإنسان وينوب عن النَّوع الإنساني كلِّه. وهنا يصير الجمال كمال التحقق لإنسانية الإنسان.

---

[1]- فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص 225.

وبالنتيجة الجمال كوسيلة وكتوسط يلعب دورا مزدوجا، الأساس فيه اكمال النقص وتحقيق التوازن؛ فمن غلبت عليه الحواس وتمكنت منه المادة جذبه الجمال إلى عالم الصورة والفكر، فيتوازن المادي فيه بالصوري، أو من غلب عليه الفكر وتمكنت منه الصورة، جذبه الجمال إلى عالم المادة والحواس، فيتوازن الصوري فيه بالمادي.

بـ/ المستوى البينـ ـ ذاتي

لم يسع شيللر إلى جسر الهوة بين الغريزتين الحسية والصورية على المستوى الذاتي، بل وكذلك الهوة الموجودة بين الذات والآخر عن طريق المعية بتوسط جمالي أيضا. فتحقيق المعية مع الذات شرط ضروري إلا أنه غير كاف فلابد من تحقيق وحدة أخرى بينـ ـ ذاتية أي تحقيق "المعية مع الآخر" باعتباره غاية في ذاته. يكتب شيللر موضحا هذا التناغم الجمالي/ الاجتماعي« لن يتفتح عن الجمال برعمه الغض البهيج إلا عندما يأوي الإنسان ساكنا هادئا مطمئنا في مستقر له، فيعيش في معية مع ذاته، ثم مع الجنس البشري بأجمعه بمجرد أن يفرغ من ذاته»[1]. ذلك أن الاحساس بالجمال يضيف شيللر لا يكون إلا باستبطان للذات وتفاعل مع الآخرين؛ معية الفرد مع ذاته تكشف له عن "الصورة" أو "الشكل" في الجمال، وأن معيته مع الآخرين يملأ هذا الشكل بمضمون اجتماعي واقعي.

المستوى السياسي:

أحد الحلول الضرورية بالنسبة إلى شيللر لتجاوز الأزمة السياسية وتلافي نتائجها الخطيرة ليس هو الثورة على شاكلة الثورة الفرنسية التي أكلت بنيها. لأن في ذلك خروج عن القانون وضرب من التردي الأخلاقي يهدف إلى اشباع النزوات الحيوانية. إنها الهمجية والبربرية بأم عينها. ولأجل ذلك ينصح الأمير كريستيان فريديريك ـ وهو من توجه إليه بهذه الرسائل ـ مخاطبا إيَّاه:«... وأنه إذا كان علينا أن نجد حلا عمليا لتلك المشكلة السياسية،

[1]– فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص.

فإنه يتعين علينا حقا أن نسير على درب الإستطيقا، طالما أننا نبلغ إلى الحرية مرورا بالجمال»[1].

إن الثورة الحقيقية التي تستند إلى القيم الإنسانية النبيلة(الحرية، الإخاء، المساواة) تتم على مستوى الوجدان وداخل النَّفس من خلال تربية الذوق وتهذيب الطباع والاهتداء بنور ذلك الشعاع الذي ينطلق من الذات لينير الآخر وينعكس مرتدا إليها وقد تضاعفت. لكن هل عرفت الدولة الجميلة، دولة الحرية والإنسانية الحقة طريقها نحو التحقق؟ وهل استعاد الإنسان بتوسط التربية الجمالية توازنه وتناغمه المفقود؟

الخاتمة:

نتبين من خلال ما تقدم أن التربية كانت ولا تزال الشغل الشاغل لمعظم الفلاسفة والمفكرين، ولقد عمل فلاسفة عصر الأنوار ومفكريه من خلال التربية على اخراج الإنسان من عالمه الضيق الذي تحاصره الأوهام والجهالات وكل أنواع التقاليد البالية، لتضعه قبالة عالم قوامه التصورات العلمية والعقلانية والكرامة الإنسانية. ولذلك شكلت الكتابة حول التربية أو في التربية هاجسا حقيقيا لدى الكثيرين منهم، بل غدت عندهم "تمرينا فلسفيا" لما يتم التنظير له، باعتبار التربية الشرط الرئيس المؤسس لعصر الأنوار. وشيللر نموذج رئيسي عن هذا الاهتمام.

إن التربية عند شيللر ومن منطلق كانطي ستعرف منعطفا جماليا يرى في الجمال إمكانية اصلاح الدولة والفرد على حد سواء.

الدولة الجمالية هي دولة آمنة بالضرورة يتمتع فيها الناس بالحرية المدنية والسياسية، اللتين هما منطلق كل حضارة وغايتها شرط أن تُمنَح هذه الحرية لمن هم على قدْرٍ كافٍ من النضج يجعلهم جديرين بالحرية وهذا يتحقق بالتربية الجمالية التي تتخذ من الفنون والآداب أسلحة مقاومة أخلاقية للألم.

---

[1]- فريدريش شيللر: في التربية الجمالية للإنسان، ص154.